

نماذج من تحقق المؤمنين بصفة الإيمان الحق

..... فمن ذلك الجهاد: أنهم جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، رخصت عليهم أموالهم، فأنفقوها في سبيل الله، مع أن الإنسان بطبعه يُحِبُّ المال، قال تعالى: { وَتُجِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } { الخير: هو المال الكثير، ولكن لما صدقوا بأن النفقة في سبيل الله مما يخلفه الله تعالى عند ذلك سهل عليهم إنفاقها، وأمثلة ذلك كثيرة. تعرفون مثلا أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في جيش العسرة؛ لما حث النبي صلى الله عليه وسلم على تجهيز جيش العسرة، الذي هو غزوة تبوك جَهَّز ثلاثمائة بعير، ثلاثمائة راكب من الغزاة في سبيل الله، أعطاهم الرواحل والأحلاس والأقتاب والأهب والفرش وجميع ما يحتاجونه، حتى العصا التي يسوقون بها الرحلة، وحتى الخطام التي يقودون بها، ومع ذلك أيضا دفع ألف دينار زيادة على ذلك، يعني ما يساوي في هذه الأزمنة أكثر من مائة ألف. لا شك أن هذا دليل على أنهم هانت عليهم أموالهم، كذلك هانت عليهم أنفسهم، فتعرضوا للقتل في سبيل نصرته الإسلام، صبروا في غزوة أحد حتى قتل منهم سبعون، يتعرضون للقتل فداءً لنبيهم صلى الله عليه وسلم، وحرصا على الشهادة. لا شك أن الذي حملهم على ذلك قوة الإيمان. كذلك أيضا بذلوا أوقاتهم في سبيل الله تعالى في كل سنة عدة سرايا وغزوات، ولا يتخلفون إلا لعذر، فما الذي حملهم؟ قوة إيمانهم وتصديقهم، فهكذا يكون الإيمان! أنزل الله تعالى فيهم: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ } لا شك أن هذا دليل على أنهم وقوا بما عاهدوا الله تعالى عليه، ووفى الله تعالى لهم بما وعدهم، المشتري: هو الله تعالى، والبايعون: هم المؤمنون، هم البائعون، والمبيع هو الأنفس والأموال، هذه هي المبيع، والتمن هو: الجنة، والوثائق: التوراة والإنجيل والقرآن { وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } . فما الذي حملهم؟ لا شك أنه قوة إيمانهم، ثم أتمر ذلك أن بذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله تعالى، كذلك أيضا صبروا على ما نالهم، لما جاء الأحزاب نحو عشرة آلاف من الكفار أحرقوا بالمدينة وأحاطوا بها من كل جانب، قال تعالى: { إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ } هذا من الابتلاء { وَزُلْزِلُوا زَلِيلًا شَدِيدًا } ولكن تمسكوا بعقيدتهم، مدحهم الله تعالى بقوله: { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } يعني: أخبر الله تعالى بأنهم سوف يبتلون، وأن هذا الابتلاء ليظهر من يكون صادقا، ومن يكون كاذبا، قد أنزل الله قوله تعالى: { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } يعني: هل يحسبون أنهم إذا آمنوا لا يفتنون؟ لا بد من الفتنة { وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } لماذا؟ { فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا } { فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَبُوا } في إيمانهم، { وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ } فلما ابتلوا بهذا الابتلاء، وضيق عليهم، وجاءهم العدو من فوقهم، ومن أسفل منهم ما زادهم إلا إيمانا وتسليما، صبروا وصابروا وتمسكوا بدينهم، وعلموا أن النصر من الله تعالى، ولما ضاقت بهم الحال، وتجم نفاق المنافقين الذين قالوا: وعدنا محمد أننا نفتح الشام و مصر و العراق ! أحدا الآن لا يقدر على أن يذهب إلى الخلاء لقضاء حاجته { مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } . هكذا ظهر المنافقون وتبينوا، وثبت المؤمنون وصدقوا، ولما علم الله تعالى صدقهم أنزل النصر أرسل على الأحزاب ريحا شديدة قلعت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وقلبت قدورهم، فلم يستقروا ورجعوا، قال الله تعالى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا } الجنود هم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى؛ لإيقاع الزلازل بهؤلاء، ثم ردهم الله { وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْطِهِمْ لَمْ يَدْعُوا وَلَكِن لَمْ يَأْتُوا بِالْحَيَاةِ الْفِتَالِ } . فهذا من آيات الله لما أنهم ثبتوا على هذه الفتنة { وَزُلْزِلُوا زَلِيلًا شَدِيدًا } { وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } عند ذلك أنزل الله تعالى نصره؛ لأنه أخبر بأنه ينصر من نصره، فنقول: إن علينا أن نحصر على ما يقوي إيماننا ويثبت في قلوبنا، حتى لا تضرنا الفتنة، ولا تزعزعنا الأهواء، ولا نتخذ بكثرة الشبهات ولا بكثرة المنحرفين.